في التنوير الإسلامي

«٢٤»

الحضارات العالمية
تدافُع ؟ .. أم صِراع ؟؟

تأليف

د. محمد عمارة

في التنوير الإسلامي ٢٤

الحضارات العالمية
تدافُع ؟ .. أم صِراع ؟؟

تأليف

د. محمد عمارة

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

اسم الكتاب: الحضارات العالمية تدافع ؟ .. أم صراع ؟؟

اسم المؤلف: د / محمد عمارة

تاريخ النشر: ديسمبر ١٩٩٨م . (طبعة أولى)

رقم الإيداع: ١٥٢٢٢ / ١٩٩٨م .

الترقيم الدولى: I . S . B . N 977 - 14 - 0869 - 0

الناشر: دار **نهضة مصر** للطباعة والنشر والتوزيع .

المركز الرئيسى: ٨٠ المنطقة الصناعية الرابعة .
مدينة السادس من أكتوبر .
ت: ٣٣٠٢٨٧ / ٠١١ . (١٠ خطـــوط)
فاكس: ٠١١/٣٣٠٢٩٦ .

مركز التوزيع: ١٨ ش كامل صدقى - الفجالة - القاهـرة
ت: ٥٩٠٩٨٢٧ - ٠٢/٥٩٠٨٨٩٥ .
فاكس: ٠٢/٥٩٠٣٣٩٥ . ص.ب: ٩٦ الفجالة

إدارة النشر: ٢١ ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: ٣٤٦٦٤٣٤ - ٠٢/٣٤٧٢٨٦٤ .
فاكس: ٠٢/٣٤٦٢٥٧٦ . ص.ب: ٢٠ إمبابة

الرؤية الإسلامية

بعد سقوط المنظومة الماركسية ومعسكرها وأحزابها وحكوماتها سنة ١٩٩١م ، وزوال «الشقاق الاجتماعى» الذى استمر داخل الحضارة الغربية لأكثر من سبعين عاما - الشقاق بين «الليبرالية - الرأسمالية» و «الشمولية - الشيوعية» - أعلنت الليبرالية الغربية عن انتصارها «التاريخى» لا فى إطار حضارتها الغربية فقط ، وإنما مدعية عالمية - بل وأبدية - هذا الانتصار . . . وكان كتاب «فوكوياما» الأمريكى الجنسية ، اليابانى الأصل - (نهاية التاريخ) الإعلان عن دعوى وادعاء هذا الانتصار . .

ولقد حظى هذا الكتاب الصغير فى وطن العروبة وعالم الإسلام باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! . . وقبل أن تهدأ عاصفة (نهاية التاريخ) أثار الكاتب الأمريكى - اليهودى الديانة - «صامويل . ب هانتنجتون» عاصفة أشد ، بدراسته عن (صراع الحضارات) . . وهى الدراسة التى استقبلت فى شرقنا العربى والإسلامى - أيضا - باهتمام كبير ، ونقد كثير ، ورفض شديد ! . .

وعلى خلاف هذا الاستقبال الغاضب والرافض ، الذى استقبلت به هاتان الدراستان . . فلقد كان الأولى - فى تقديرى - أن نتأملهما جيدا ، وأن ننظر إليهما باعتبارهما إعلانا صريحا وصادقا عن «واقع موقف» الحضارة الغربية من الأمم والقوميات والحضارات غير الغربية ، و«واقع موقف» الليبرالية الرأسمالية من الفلسفات والمذاهب الاجتماعية الأخرى . . ومن ثم كان

علينا أن نشكر «فوكوما يا» ، و «صاموبل هانتنجتون» على الصدق فى إعلان حقيقة واقع الموقف الغربى من «الآخرين» . . كل الآخرين .

فـ «فوكوياما» أراد أن يعلن - فى لحظة صدق ، عبرت عن «واقع موقف» الحضارة الغربية - أن سقوط الشيوعية يعنى : السيادة الأبدية لليبرالية الرأسمالية الغربية - ومن ثم لنظامها «العالمى» الجديد ، على كل المذاهب والفلسفات الاجتماعية ، وعبر كل القارات والأمم والحضارات . . وإلى الأبد ! . .

وكان مفترضا - وواجبا - أن نولى الاهتمام ، ونقدم الشكر ، لمن يصارحنا بحقيقة موقف الغرب من المذاهب والأيديولوجيات والحضارات غير الغربية . . **فمن يصارحنا بحقيقة موقفه منا أولى بتقديرنا وشكرنا - حتى ولو كان عدوا لنا - من أهل الغواية والمراوغة ، الذين يقدمون «الفكر» فى ثياب «الدبلوماسية» ويتحدثون عن «حوار الحضارات» فى ذات الوقت الذى يجتاحون فيه كل مقومات ذاتيتنا الحضارية ، من الثقافة - إلى القيم . . إلى الاقتصاد . . وحتى السيادة الوطنية . . وحق تقرير المصير . .**

ولقد تابعت الكثير مما كتب عن دراسة «هانتنجتون» حول (صراع الحضارات) . . ووجدت - فى كثير من هذا الذى كتب عنه - رفض الذين كانوا يتمنون لو أن الرجل لم يعلن حقيقة الموقف الغربى من الحضارات غير الغربية !! . .

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجتون» عن :

● أن الصراع القادم هو صراع حضارات ، تمايز بينها وتحدد أوطانها وحدودها «الثقافات» . .

● وأن أشد وقائع هذا الصراع قائم بين الحضارة الغربية وبين الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية . .

● وأن على الغرب أن «يُحيِّد» الحضارات الأخرى ، حتى يصرع الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية ، ثم يستدير ليحتوى تلك الحضارات التى «حيَّدها» ! . .

لقد نظر الكثيرون إلى حديث «هانتنجتون» هذا باعتباره «رأيا» فانتقدوه . . بينما الرجل يتحدث عن «واقع موقف» الحضارة الغربية – التاريخى – فى هذا الميدان . . وعن تصاعد حدة «واقع» هذا الموقف ، بعد سقوط الشيوعية ، وفراغ الليبرالية الرأسمالية الغربية من نزيف الشقاق والانشقاق الاجتماعى الداخلى ، الأمر الذى أعاد الوحدة الاجتماعية – على أرض الليبرالية – لكل دول وقوميات الحضارة الغربية ، وزاد من قوة قبضتها فى مواجهة «الآخرين» ! . .

فللرجل فضل الإعلان عن «واقع الموقف» الغربى . . وكان أولى بنا أن ننظر إلى دراسته بهذا المنظار ، ولو أننا نظرنا – حتى النظرة العجلى – إلى «واقع» علاقة الحضارة الغربية – تاريخيا – بغيرها من الحضارات ، لوجدنا أن هذا «الواقع – التاريخى» قد جسد هذا الذى تحدث عنه «هانتنجتون» فى تاريخ من الصراعات والهيمنة والغطرسة والاستعمار والاستغلال . . منذ غزوة الإسكندر الأكبر (٣٥٦ – ٣٢٤ ق.م) – التى أخضعت الشرق للإغريق والرومان ،

حتى أزاحتها الفتوحات الإسلامية ، بعد عشرة قرون ! . . وعبر الغزوة الصليبية ، التى جاءت لتستعيد الهيمنة على الشرق ، ودامت حملاتها قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ ١٠٩٦ - ١٢٩١م) . . ووصولا إلى الغزوة الحديثة ، التى بدأت الالتفاف حول العالم الإسلامى فور سقوط «غرناطة» ، واقتلاع الإسلام وحضارته من غرب أوربا - فى الأندلس - (٨٩٧ هـ ١٤٩٢م) . . ثم ثنّت بغزو قلب العالم الإسلامى - مصر والشام - بحملة بونابرت (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على مصر (١٢١٣هـ ١٧٩٨م) . . - وهى الغزوة التى لا زال المسلمون يعالجون جراحها وآثارها حتى كتابة هذه السطور ! . . وحتى الحديث عن إفصاح «هانتنجتون» عن حقيقة موقف الغرب من هذا الصراع . .

وغير هذا «الواقع التاريخى» الذى جسد «النزعة الصراعية» للحضارة الغربية إزاء غيرها من الحضارات ، وإزاء الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص . . هناك الكتابات التى قد تعز على الحصر ، والتى تتحدث عن «المركزية الغربية» التى جعلت وتجعل الحضارة الغربية نزّاعة إلى احتواء الآخر ، وترويضه ودمجه فى نمطها الحضارى ومنظومتها القيمية . . وهى النزعة التى اعتمدت طريق «الصراع» فى العلاقة بالآخرين ، بل وجعلت من هذا الصراع مع الآخرين ، ومن احتوائهم ، وإلغاء ذاتيتهم وخصوصيتهم وهويتهم وتميزهم ، جعلت من ذلك كله «رسالتها الحضارية النبيلة!» التى تقوم بها لتمدين هؤلاء الآخرين!!

ولقد ساعدت النظريات الثلاث، التى زكّت وأثمرت هذه «النزعة الصراعية» فى البنية الفكرية للحضارة الغربية..

١ - الهيجلية - نسبة إلى «هيجل» Hegel (١٧٧٠ - ١٨٣١م) فى فلسفة التاريخ.. وهى التى قامت على نسخ العصر الجديد للعصر القديم، عبر الصراع مع مكوناته، والمحو لها، والحلول محلها..

٢ - والدارونية - نسبة إلى «دارون» Darwin (١٨٠٩ - ١٨٨٢م) - فى فلسفة النشوء والارتقاء.. وهى التى قامت على صراع الأحياء، ونسخ ومحو الأقوى للأضعف والضعيف، لأن الأقوى - بإطلاق - هو الأصلح بإطلاق..

٣ - والصراع الطبقى - سواء فى ماركسية «ماركس» Marx (١٨١٧ - ١٨٨٣م) - أو فى الليبرالية الرأسمالية - .. والذى يعتمد «النزعة والفلسفة الصراعية» فى علاقات الطبقات الاجتماعية.. فالطبقة الوليدة والجديدة تصارع الطبقة القديمة، لتقهرها، وتزيحها، وترثها، وتنفرد بكل الثمرات والامتيازات والسلطات.. البورجوازية فى الليبرالية.. والبروليتاريا عند الماركسيين..

لقد ساعدت هذه النظريات الثلاث، التى صبغت هوية الحضارة الغربية بصبغة الفلسفة الصراعية، على إماتة الضمير الغربى، إبان «صراعه» مع الحضارات غير الغربية.. فبما أنه هو الأقوى، فهو - إذن - الأصلح.. ولذلك، فإن صراعه ضد الحضارات الضعيفة، والبنى الموروثة للأمم المستضعفة، هو «قانون علمى»، و«رسالة نبيلة» يقوم بها هذا الرجل الأبيض

لإزالة «الماضى» . . والمواريث والمؤسسات «الضعيفة» ، وإحلال النموذج الحضارى الغربى «القوى . . والأقوى» ، فى العالم كله ، عبر التطبيقات المتنوعة «لفلسفة الصراع» ! . .

أما اختصاص الإسلام وأمته وحضارته وعالمه بالحظ الوافر من جهود الغرب فى صراع الحضارات ، فإن واقع الصراع التاريخى شاهد عليه . . وصورة الإسلام ورسوله - ﷺ - وصورة المسلمين ، فى الذاكرة والمخيلة والثقافة والإعلام الغربى شاهد - آخر - عليه . . وكلمة القائد العسكرى الإنجليزى «جلوب باشا» - الذى كتب عن الفتوحات العربية . . وحدد تاريخ «مشكلة الشرق الأوسط» مع الغرب - فقال : «**إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط يعود إلى القرن السابع للميلاد**» !! . . - أى إلى ظهور الإسلام - . . وهى كلمة جديرة - وحدها - بإفاقة السكارى والنيام ! . .

لذلك كله - ولمثله الكثير - كنت أتمنى - مع رفضنا لفلسفة الصراع فى علاقات الحضارات ، ومع تزكيتنا لمنهاج الإسلام فى التدافع والتسابق بين الحضارات على طريق التقدم - أن ننظر إلى هذا الذى قدمه «صامويل هانتنجتون» باعتباره «فضيلة صدق» ، عبرت عن «واقع الموقف الغربى» فى العلاقة «بالآخرين» . . وهو «الواقع» الذى خبرناه تاريخيا . . والذى صارحنا «هانتنجتون» بأنه ثابت ومستمر فى المستقبل القريب والبعيد ! . .

● فالرجل لم يحاول خداعنا - كما يصنع كتاب غربيون آخرون . . ومعهم أغلبية المتغربين من مثقفينا - بالقول بواحدية الحضارة عالميا . . وإنما قال الرجل بتعددية الحضارات على هذا

الكوكب الذى نعيش فيه . . وهو قد حدد« الثقافة» معيارا لتعدد وتمايز الحضارات . . ففى «المدنية» وعلوم المادة ، وعمران الواقع المادى تشترك كل الحضارات . . لكنها تتمايز وتختلف فى عمران النفس الإنسانية الذى تصنعه الثقافات . . وعن هذه الحقيقة الهامة قال «هانتنجتون» : «إن الحضارة هى كيان ثقافى . . .» .

وعن التعددية الحضارية - فى عالمنا - . . والمعايير الثقافية التى أثمرت هذه التعددية ، يقول : « . . وليس ثمة حضارة عالمية ، بل عالم من الحضارات المختلفة . . وفى العالم سبع أو ثمان حضارات كبرى :

١ - الحضارة الغربية . .

٢ - والصينية الكونفوشيوسية . .

٣ - واليابانية . .

٤ - والإسلامية . .

٥ - والهندية . .

٦ - والأرثوذكسية السلافية . .

٧ - والأمريكية اللاتينية . .

٨ - وربما الأفريقية . .

وهى حضارات تتمايز عن بعضها البعض باللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، والعادات ، وأهم من ذلك : الدين .

وأبناء هذه الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة

بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والآباء والأبناء ، والزوج والزوجة . وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات ، والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمى .

وهذه الاختلافات هى نتاج قرون ، ولن تختفى فى القريب العاجل ، إذ أنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديوچية السياسية والنظم السياسية» .

هكذا حدد «صامويل هانتنجتون» - فى دقة وموضوعية - موقفه مع تعدد الحضارات .. ومع دور الثقافات المتمايزة فى التعددية الحضارية ، ودور الدين والثقافة فى التمايز الحضارى .. وتنوع الأمم - ومن ثم الحضارات - فى فلسفات : رؤية الكون والماضى والمستقبل ، وتصوراتها المتنوعة للمثل والمعايير الحاكمة والمنظمة للعلاقات بين الفرد والمجموع ، وبين الأمة والدولة ، وبين الحرية والمسئولية ، وبين الآباء والأبناء ، وبين الزوج والزوجة ، وفى المساواة والتراتب الهرمى .. إلخ .. إلخ ..

● وبعد هذا الانحياز - الموضوعى والدقيق - للتعددية الحضارية فى عالمنا ، ورصد معاييرها ، والإشارة إلى أصالتها وثباتها ، وعلو تأثيراتها على الأيديولوچيات السياسية والنظم السياسية ، أفصح «هانتنجتون» عن الموقف الغربى المنحاز لفلسفة الصراع بين الحضارات ، لا كموقف ذاتى اختاره ويبشر به ويدعو إليه «هانتنجتون» ، وإنما «كحتمية واقعية» للموقف الغربى إزاء الحضارات الأخرى ..

فهو مجرد «واصف» لتاريخ هذا الصراع الغربى مع الحضارة الإسلامية، عندما يقول: «**إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام، وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات**»..

وهو بالنسبة للمستقبل - مستقبل العلاقة بين الغرب والحضارة الإسلامية - يفصح عن المخططات التى تعلنها الكثير من دوائر صنع القرار الغربى ومراكز الفكر الاستراتيجى الغربى - وهو مدير أحد تلك المراكز بجامعة هارفارد الأمريكية -.. فيقول: «**إن البؤرة المركزية للصراع، فى المستقبل القريب، سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية**..».

● وبعد هذا «الإفصاح» عن «واقع الموقف الغربى» من صراع الحضارات - تاريخيا.. ومستقبلا -.. **يأتى دور «هانتجتون» كمفكر استراتيجى غربى - يهودى الديانة - ليشير على حضارته الغربية بكيفية إدارة هذا الصراع الحضارى، مستقبلا، ومراحل هذا الصراع، وأولويات المعارك فيه**..

فهو يشير على صناع القرار - فى حضارته الغربية - بتقسيم مراحل الصراع المستقبلى إلى مرحلتين:

الأولى - والقريبة - : هى مرحلة «المدى القصير».. وفيها ينصح «هانتنجتون» الغرب بتوحيد عالمه الحضارى، وتجييش كل أدوات الصراع - من آلة الحرب إلى الاقتصاد، إلى السياسة، إلى الثقافة، إلى القيم، إلى المؤسسات الدولية - وتركيز الصراع ضد

الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية .. فيقول : «إنه على المدى القصير من مصلحة الغرب أن يعزز تعاونا أكبر ، وتوحيدا فى نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها : الأوربى والأمريكى الشمالى ● وأن يدمج مجتمعات شرق أوربا وأمريكا اللاتينية فى الغرب ، وهى مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب ● وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ، ويحافظ عليها ● وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى بين الحضارات» ● وأن يحد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية ● وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية ● ويحافظ على التفوق العكسرى شرق وجنوب غرب آسيا» ● وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية فى الحضارات الأخرى ● وأن يقوى المؤسسات الدولية التى تعكس وتسوّغ المصالح والقيم الغربية ، وتضفى عليها الشرعية ● وأن يروّج لاشتراك الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات ..»

فالرجل – كأستاذ وخبير فى الاستراتيجية .. ومقرب من دوائر صنع القرار – يضع لقومه «جدول أعمال» الصراع الحضارى فى «مرحلة المدى القصير» .. وهو «جدول أعمال» نرى تطبيقاته قائمة على قدم وساق ! ..

فالمطلوب من الغرب – فى «المدى القصير» من هذا الصراع الحضارى :

١ – توحيد كيانه الحضارى ، وتعزيز التعاون بين دوائره ، ودمج

شرق أوروبا بغربها ، وكل أوروبا مع أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية .. أى الغرب الثقافى والقريب من ثقافة الغرب .. وهو الغرب النصرانى بمذاهبه المختلفة .

٢ - والتعاون والتحييد وضبط الصراعات فى كل الدوائر الحضارية ، بل واستغلال حتى تناقضات الغرب فى داخل الحضارات غير الغربية ، لكى يكون التركيز ، فى الصراع ، ضد الإسلام والصين .

٣ - وتقليص القدرات العسكرية للمسلمين والصينيين ، وزيادة القدرات العسكرية الغربية ، والحفاظ على التفوق العسكرى الغربى «فى شرق وجنوب غرب آسيا» ، أى فى مواجهة الصين والمسلمين ! ..

٤ - وتقوية المؤسسات الدولية التى تنهض «بتسويغ المصالح والقيم الغربية ، وتضفى عليها الشرعية ، وإشراك الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات» .. لتلتزم بالمواثيق «الدولية» المسوّغة للمصالح والقيم الغربية - على النحو الذى رأيناه ونراه فى المؤتمرات والمواثيق التى عقدت وتعقد تحت مظلة المؤسسات «الدولية» - من «السكان» - فى القاهرة - إلى «المرأة» - فى بكين - إلخ .. إلخ ..

تلك هى معالم خطة «هانتنجتون» للمدى القصير ، والمرحلة الأولى من صراع الغرب الحضارى ، الذى ينصح بتركيزه على الحضارتين الإسلامية والصينية ! ..

أما المرحلة الثانية - من هذا الصراع الغربى ضد الحضارات غير الغربية - مرحلة «المدى الطويل» - فهى - بتعبير «هانتنجتون» - : مرحلة الاحتواء الغربى للحضارات غير الغربية ،

والتى نجحت فى «تحديث» واقعها، مع احتفاظها بذاتيها وهويتها الحضارية غير الغربية! . .

فبعد المرحلة الأولى من هذا الصراع الحضارى . . مرحلة كسر شوكة الحضارة الإسلامية، والحضارة الصينية . . تأتى مرحلة احتواء الحضارات الأخرى، غير الغربية، التى حيّدها الغرب فى المرحلة الأولى من هذا الصراع، وخاصة تلك التى نجحت فى ميدان القوة والتحديث العسكرى والاقتصادى . . وبعبارات «هانتنجتون» : «أما على المدى الأطول، فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمرا مطلوبا . فالحضارة الغربية هى حضارة غربية وحديثة معا . وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية . وحتى يومنا هذا لم تنجح فى هذا المسعى إلا اليابان، وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة، التى تمثل جزءا من كون الحضارة حديثة . كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية، أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالنسبة للغرب . ومن ثم، يتوجب على الغرب - على نحو متزايد - :

● أن يحتوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية، التى تقترب قوتها من قوة الغرب، لكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب . وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه الحضارات» !

هكذا عبر وأفصح «صامويل . ب هانتنجتون» عن الرؤية الغربية للمستقبل الحضارى للعالم الذى نعيش فيه .

فالغرب يتصور حضارته منفردة «بالعرش الحضارى» العالمى . . فهى المركز والمنهاج والطريق الذى يجب على الآخرين تقليده ، أواللحاق به ، لتبنيه . . حداثة كان هذا النموذج ، أو ما بعد الحداثة ! . . لأن الليبرالية الرأسمالية هى - بالنسبة للعالم كله - هى نهاية التاريخ - «والقَدَر الغربى» ، الذى ليس منه فرار ! . .

ويتصور «الصراع» بين الحضارات المتعددة ، سبيلا لإلغاء هذه التعددية الحضارية - فى المدى الطويل - . . فبعد استجماع الغرب وحدته وتجييشه لكل إمكاناته ، وتحييده للحضارات غير الغربية ، ينجز مهمة المرحلة القصيرة والأولى من هذا الصراع الحضارى : كسر شوكة الحضارة الإسلامية ، والحضارة الصينية ، مع ضبط كل الحضارات داخل المؤسسات «الدولية» التى تقوم بمهمة تسويغ المصالح والقيم الغربية ، وإضفاء الشرعية عليها» ! . .

أما فى المدى الأطول - وبعد الفراغ من كسر شوكة الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية - فسيكون الهدف الغربى - فى هذا الصراع الحضارى - هو احتواء بقية الحضارات غير الغربية ، تلك التى نجحت فى تحديث مجتمعاتها عسكريا واقتصاديا - وهى الحضارات التى سبق «وحيَّدها» الغرب فى المرحلة الأولى من هذا الصراع - . . وذلك ليتحقق للغرب الانتصار الأعظم فى هذا الصراع ، منفردا بالقوة والتحديث والهيمنة على العالم ، دونما شريك . . وخاصة إذا جمع هذا

«الشريك» بين التميز الثقافى والحضارى وبين نهضة التحديث وقوة التجديد ! . .

***

هكذا يفكر الغـــرب - كـــحـــضـــارة - فى دوائر الفكر الاســتــراتيــجى . . وفى دوائر صنع القرار - . . وليس بالضـرورة كإنسان ، بتعميم وإطلاق . .

ففى الغرب تيارات فكرية تدرك أن هذه الفلسفة الصراعية - التى تتبناها كثير من مراكز الدراسات الاستراتيجية الغربية . وتطبقها وتمارسها كثير من الحكومات الغربيـة - تدرك أن هذه الفلسفة الصراعية إنما تمثل «خطيئة فكرية» ، ووبالا على الإنسانية جمعاء . . وبعض هذه التيارات الفكرية - فى الغرب - يسعى إلى الحوار الصادق مع تيارات التجديد الإسلامى . لاكتشاف وتحديد وبلورة القيم الإنسانية المشتركة بين مختلف الحضارات والأنساق الفكرية والعقدية لمختلف الأمم والشعوب والديانات والثقافات . .

أما الغرب ، الذى أفصح عن «واقعه الفكرى والعملى» صامويل هانتنجتون فهو هذا الذى رأيناه ورأينا مخططه فى صراع الحضارات . .

ولنا أن نسأل : من ذا الذى يستحق منا التقدير والاحترام :

- صامويل . ب هانتنجتون . . الذى انحاز إلى التعددية الحضارية فى عالمنا . . ثم أفصح عن الموقف الغربى من هذه التعددية الحضارية ؟ . .

- أم هؤلاء الذين يخدعوننا عندما يتحدثون عن وحدة الحضارة العالمية ، التى غدت - بما يسمونه «العَوْلَمة» - قرية واحدة . . متجاهلين

أن أهل هذه القرية ليسوا سواء . . فمنهم القاتل ومنهم المقتول . . ومنهم المدجج بكل أسلحة الدمار ومنهم من يُنزع سلاحه . . . ومنهم مغتصب الأرض والعرض والسيادة ومنهم المشردون المحرومون من أبسط الحقوق فى تقرير المصير . . ومنهم الذين يجتاحون اقتصاديات وقيم وثقافات الآخرين ، ومن تتعرض هوياتهم وخصوصياتهم لأشرس أعوان الاجتياح !! . . من يستحق الاحترام . .

«هانتنجتون» . . الذى يصارحنا بحقيقة الفكر السائد فى الغرب - بمراكز الدراسات الاستراتيجية . . وفى دوائر صنع القرار - ؟ . .

أم دعاة «العولمة» و «الكوكبة» ، «الكوننة» . . أولئك الذين يطعمهم الإعلام الغربى بالمصطلحات التى يصكها ، وبمضامين هذه المصطلحات ، لينطلقوا فى الترديد والتكرار والتقليد ؟! . .

أعتقد - والله أعلم - أن «صامويل . ب هانتنجتون» هو الجدير بالاحترام !

***

وإذا كانت هذه هى الرؤية الغربية للعلاقة بين الحضارات ، والتى تأسست على «النزعة الصراعية» التى صبغت فكرية الحضارة الغربية - منذ صراعات آلهة اليونان بعضهم مع بعض وحتى صراع الحضارات الذى تحدث عنه هانتنجتون - وعبر الصراعات الدينية والمذهبية والقومية والاستعمارية . فإن للإسلام رؤية أخرى للعلاقة بين الحضارات . .

● فالإسلام يرفض فكرة الواحدية والمركزية الحضارية ، بانحيازه

إلى «فلسفة التعددية» ، كرؤية كونية . . فالواحدية هى فقط للذات الإلهية ، وما عدا الله - سبحانه وتعالى - يقوم على التعدد والتساند والتوازن والارتفاق . .

يرى الإسلام هذه التعددية السنة الإلهية والقانون الكونى الذى لا تبديل له ولا تحويل . . فى الشعوب والأمم والقبائل . . وفى الألسنة واللغات والقوميات . . وفى الشرائع والملل والنحل . . وفى المناهج والثقافات والحضارات . . فالتعددية هى الأصل والقاعدة والقانون . . والعالم يجب أن يكون «منتدى حضارات» ، لا حضارة واحدة تصارع وتصرع غيرها من الحضارات ! . .

● والبديل الإسلامى لصراع الحضارات ، ليس حالة «السكون» فى علاقات الحضارات بعضها بالبعض الآخر ، لأن فى السكون «مواتا» ، ربما أفضى إلى «التبعية والتقليد» ، اللذين ينتهيان إلى الواحدية والمركزية الحضارية . . وإنما البديل الإسلامى لفلسفة الصراع ، هو «فلسفة التدافع» بين الحضارات . .

وهذا التدافع هو «حراك» اجتماعى وثقافى وحضارى ، أى تنافس وتسابق بين الحضارات يعدل المواقف الظالمة ، والممارسات الجائرة ، والعلاقات المنحرفة ، دون صراع يصرع الأطراف الأخرى - فيلغى التعددية - وإنما بالحراك والتسابق الذى يعيد العلاقات المختلة إلى درجة التوازن والعدل فى العلاقات بين مختلف الفرقاء . .

«فالتدافع الحضارى» - الذى هو حراك وتنافس وتسابق ، يحافظ على التعددية . ويتوسط بين «الصراع» وبين «السكون» -

هو فلسفة الإسلام وسبيل حضارتنا الإسلامية فى العلاقات بين الحضارات . .

وفلسفة التدافع هذه ليست مجرد «فكر إسلامى» ، حتى تكون من مناطق «**الاجتهادات والمتغيرات**» ، وإنما هى «دين ثابت» ، ومنهاج بلوره الوحى الإلهى فى القرآن الكريم ، باعتباره سنة من سنن الله فى الاجتماع الإنسانى ، حاكمة للعلاقات بين الأفكار والشرائع والملل والأقوام والحضارات . .

فالله - سبحانه وتعالى - عندما يخاطب رسوله - ﷺ - فيقول له : ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم. وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥] . . يعلمنا - سبحانه - معالم هذا المنهاج . . فالتدافع لا يتغيا «صرع الآخر وإلغاءه» ، وإنما تحويل موقفه وموقعه من «العداوة» - التى تجعله من أهل «السيئات» - إلى موقع وموقف «الولى الحميم» - الذى يجعله من أهل «الحسنات» ! - . . فيتم «الحراك» ، بواسطة «التدافع» ، مع بقاء «تعددية الفرقاء المتمايزين» . .

بل لقد حدثنا القرآن الكريم عن هذه «السبيل الإسلامية» - سبيل «التدافع» ، لا «الصراع» - باعتبارها الحافز الذى يدفع الحياة والعمران إلى الارتقاء دائما وأبدا . . ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ [البقرة: ٢٥١]

فالصراع الحضارى .. ونقيضه - السكون الحضارى - ليس سبيل التقدم والصلاح والإصلاح، وإنما سبيل التقدم هو وسطية التدافع والتنافس والتسابق على طريق التقدم والنهوض والخيرات ..

وعندما أذن الله - سبحانه وتعالى - لرسوله - ﷺ - وللمؤمنين بالقتال - قتال الذين أخرجوهم من ديارهم وقاتلوهم وفتنوهم فى الدين - جاء الحديث عن «التدافع»، لتكون غايات القتال - الذى فُرض على المسلمين وهو كُرْهٌ لهم - هى تعديل مواقف المشركين من مواقع العداء المشرك المعتدى إلى مواقف السلام، فهى «حراك» لا «نفى وإهلاك»: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ. أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٣٨ - ٤١].

ففلسفة «التدافع الحضارى» هى البديل الإسلامى «لفلسفة الصراع الحضارى» الغربية .. ولذلك ازدهرت فى دولة الإسلام وحضارته وأمته التعددية فى الملل والنحل والشرائع واللغات

والقوميات والعادات والأعراف ، فعاشت الديانات - الكتابية والوضعية - ومؤسساتها ، فى ظلال حضارة الإسلام . .

على حين جعلت «النزعة الصراعية» الحضارة الغربية تضيق حتى بالتعددية المذهبية داخل النصرانية ! . . ولا تزال هذه «النزعة الصراعية» تحدد للغرب منهاج العدوان وطريق الصراع ضد سائر الحضارات . . وخاصة حضارة الإسلام ! . . على النحو الذى رأيناه فى «اعتراف» «صامويل . ب . هانتنجتون» !

الرؤية الغربية

مقــال

صامويل . ب . هانتنجتون

صـدام الحضارات (1)

(١) نشر صامويل . ب . هانتنجتون - وهو مفكر استراتيجي . . يهودي الديانة . . أمـريكي الجنسـيـة - يعمل مـديرا لمعـهـد « جـون . م . أولين » للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفارد الأمريكية . . ومن المقربين إلى دوائر صنع القرار بالإدارة الأمريكية - نشر هذا المقال بمجلة الشئون الخارجية الأمريكية - وهي دورية متخصصة عالية المستوى بعنوان The Clash of Civilization سنة ١٩٩٣ م . . ولقد صدرت - بالعربية - ترجمـات عدة لهذا المقال ، اخترنا منها ترجمـة عبدالمنعم محفوظ . انظر مجلة (الحرس الوطني) السعودية . عدد ذي القعدة - ذي الحجة سنة ١٤١٦ هـ - مارس - إبريل سنة ١٩٩٦ م . . .

النمط القادم للصراع

إن فرضيتى تقوم على أن المصدر الجوهرى للصراع فى هذا العالم الجديد لن يكون فى الأصل أيديولوجيا أو فى الأصل اقتصاديا ، وإنما ستكون الانقسامات الكبيرة بين الجنس البشرى والمصدر السائد للصراع ثقافيا . وسوف تبقى الدول القومية هى أكثر الفاعلين قوة فى الشئون الدولية ، ولكن الصراعات الرئيسية للسياسة العالمية سوف تقع بين الأمم والجماعات ذات الحضارات المختلفة ، وسوف يسيطر صدام الحضارات على السياسة العالمية وستكون خطوط الخلل بين الحضارات هى خطوط المعركة فى المستقبل .

سوف يكون الصدام بين الحضارات هو الطور الأخير فى منحنى تطور الصراع فى العالم الحديث . فعلى مدار قرن ونصف القرن من بروز النظام الدولى الحديث بتوقيع سلام « وستفاليا » ، كانت الصراعات فى العالم الغربى تنشب إلى حد كبير بين الأمراء - الأباطرة ، ملوك مستبدون وملوك دستوريون يحاولون أن يتوسعوا فى بيروقراطياتهم وجيوشهم وقوتهم الاقتصادية التجارية وأهم من ذلك الأراضى التى يحكمونها . وفى ثنايا تلك العملية أوجدوا الدول القومية . وابتداء من الثورة الفرنسية أصبحت خطوط الصراع الرئيسية بين الدول وليس الأمراء . وفى عام ١٧٩٣ على حد قول ر . ر . بالمر : « انتهت حروب الملوك وبدأت حروب الشعوب » . وقد استمر نمط صراع القرن

التاسع عشر هذا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . منذ ذلك الحين وكنتيجة للثورة الروسية ورد الفعل المضاد لها ، أفسح صراع الشعوب المجال لصراع الأيديولوجيات ، أولا بين الشيوعية والفاشية النازية ، ثم بعدئذ بين الشيوعية والديمقراطية الليبرالية ، أثناء الحرب الباردة أصبح هذا الصراع متجسدا فى النزاع بين القوتين العظميين ، اللتين لم تكن أيهما دولة قومية بالمعنى الكلاسيكى الأوروبى كما أن كلاً منهما حددت هويتها على أساس أيديولوجيتها .

وقد كانت هذه الصراعات بين الأمراء والدول القومية والأيديولوجيات صراعات تدور أساسا فى نطاق الحضارة الغربية ، أى أنها كانت « حروبا أهلية غربية » كما أسماها وليم ليند . وكان ذلك حقيقيا بالنسبة للحرب الباردة ، كما كان بالنسبة للحربين العالميتين والحروب السابقة فى القرن السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر . ومع نهاية الحرب الباردة تتحرك السياسة الدولية خارج طورها الأوروبى ويصبح مركز ثقلها هو التفاعل بين الغرب والحضارات غير الغربية ، وكذلك بين الحضارات غير الغربية مع بعضها البعض . وفى سياسات الحضارات لم تعد شعوب وحكومات الحضارات غير الغربية أغراضا تاريخية بوصفهم أهدافا للاستعمارية الغربية ، ولكنهم ينضمون إلى الغرب كمحركين ومشكلين للتاريخ .

طبيعة الحضارات

أثناء الحرب الباردة كان العالم منقسما إلى العالم الأول والثانى والثالث ولم تعد تلك التقسيمة عملية . وإنه لذو مدلول أكثر إلى حد بعيد الآن أن تصنف البلدان ليس على أساس نظمها السياسية والاجتماعية أو على أساس مستواها من النمو الاقتصادى ، ولكن على الأصح على أساس ثقافتها وحضارتها .

ولكن ماذا نقصد عندما نتكلم عن الحضارة ؟ الحضارة هى كيان ثقافى فالقرى والأقاليم والجماعات العرقية والقوميات والجماعات الدينية كلها لديها ثقافات مميزة على مستويات متباينة من التمايز الثقافى . وقد تكون ثقافة قرية فى جنوب إيطاليا مختلفة عن ثقافة قرية أخرى فى شمال إيطاليا ، إلا أن القريتين سوف تشتركان فى ثقافة إيطالية بما يميزها عن القرى الألمانية ، كما أن المجتمعات الأوروبية بدورها سوف تشترك فى ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية . غير أن العرب والغربيين والصينيين ليسوا جزءا من أى كيان ثقافى أوسع إذ أنهم يشكلون حضارات ، والحضارة على هذا النحو هى أعلى تجميع ثقافى للبشر ، كما أنها أعرض مستوى للهوية الثقافية يتمتع به البشر التى من دونها لا يتميز الجنس البشرى عن الأنواع الأخرى من الكائنات . وتتحدد الحضارة بكل من عناصر الأهداف المشتركة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات ، وأيضا بإثبات الهوية الذاتية للبشر .

وللبشر مستويات من الهوية فأحد أبناء روما قد يحدد هويته بدرجات متفاوتة على أنه رومى (النسبة للمدينة) وإيطالى

وكاثوليكي ومسيحي وأوروبي وغربي . والحضارة التي ينتمي إليها تمثل أعرض مستوى لإثبات الهوية يحقق هويته من خلالها بشدة ، ويمكن للناس أن يعيدوا صياغة هويتهم - وهم يفعلون ذلك - ونتيجة لذلك تتغير بنية وحدود الحضارة .

وقد تشتمل الحضارات على عدد هائل من الناس كما هو الحال لدى الصين (« حضارة تدعى أنها دولة » على حد قول لوسيان باى) أو عدد صغير جدا من الناس مثل المتحدثين بالإنجليزية فى البحر الكاريبى ، وقد تضم الحضارة فى ثناياها عدة دول قومية كما هو الحال مع الحضارة الغربية أو حضارة أمريكا اللاتينية أو الحضارة العربية ، أو تنحصر فى دولة قومية واحدة كما هو حال الحضارة اليابانية . ومن الواضح أن الحضارات تمتزج وتتداخل مع بعضها البعض وقد تشتمل على حضارات فرعية ، فالحضارة الغربية لها شكلان رئيسيان مغايران هما الأوروبى والأمريكى الشمالى ، والحضارات الإسلامية لديها التقسيمات الفرعية العربية والتركية والملاوية . والحضارات مع ذلك تمثل كيانات ذات دلالة ، وبينما لا تكون الخطوط بينها قاطعة إلا نادرا فإنها خطوط حقيقية . والحضارات تمتاز بديناميكيتها فتراوح بين الصعود والسقوط والانقسام والتمازج ، وكما يعرف أى دارس للتاريخ فإن الحضارات تندثر أيضا وتدفن فى رمال الزمن .

ويميل الغربيون إلى الاعتقاد بأن الدول القومية هى الفاعل الرئيسى فى الشئون العالمية ، إلا أن تلك الدول كانت كذلك لبضع قرون فحسب ، ولكن الآفاق الأوسع للتاريخ الإنسانى كانت هى تاريخ الحضارات . وأرنولد توينبى فى كتابه (دراسة فى التاريخ) حدد إحدى وعشرين حضارة لم يبق منها فى العالم المعاصر إلا ست فقط .

لماذا ستتصادم الحضارات؟!

إن هوية الحضارات سوف تكون لها أهمية متزايدة فى المستقبل وسوف يتشكل العالم إلى حد كبير بالتفاعل بين سبع أو ثمان حضارات كبرى ، وتشتمل هذه الحضارات على الحضارة الغربية والصينية الكونفوشيوسية واليابانية والإسلامية والهندية والأرثوذكسية السلافية والأمريكية اللاتينية وربما الأفريقية ، وسوف تقع أهم الصراعات فى المستقبل على طول خطوط الخلل التى تفصل حضارة عن الأخرى .

لماذا ستكون هذه هى الحالة ؟

أولا: إن الاختلافات بين الحضارات ليست حقيقية فحسب ، بل إنها أساسية ، فالحضارات تتمايز عن بعضها البعض باللغة والتاريخ والثقافة والعادات وأهم من ذلك الدين . وأبناء الحضارات المختلفة لديهم آراء مختلفة عن العلاقة بين الله والإنسان ، والفرد والجماعة ، والمواطن والدولة ، والآباء والأبناء ، والزوج والزوجة ، وكذلك آراء متباينة عن الأهمية النسبية للحقوق والمسئوليات والحرية والسلطة ، والمساواة والتنظيم الهرمى . وهذه الاختلافات هى نتاج قرون ولن تختفى فى القريب العاجل إذ إنها أكثر جوهرية من الاختلافات بين الأيديولوجيات السياسية والنظم السياسية ، إلا أن الاختلافات لا تعنى بالضرورة الصراع والصراع لا يعنى بالضرورة العنف ، غير أنه على مدى القرون ولدت الخلافات بين الحضارات أكثر الصراعات طولا وأشدها عنفا .

ثانيا: إن العالم يتحول إلى مكان أصغر والتفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة فى تزايد ، وهذه التفاعلات المتزايدة تكثف من الشعور بالتفاوت الحضارى والوعى بالاختلافات بين الحضارات ، وكذلك التجمعات ذات السمات المشتركة داخل الحضارة الواحدة . فهجرة أبناء شمال إفريقيا إلى فرنسا تولد العداء فى أوساط الفرنسيين ، ولكنها فى الوقت نفسه تزيد من تقبل هجرة البولنديين الكاثوليك الأوروبيين « الطيبين » والأمريكيون يستجيبون للاستثمارات اليابانية بسلبية تفوق كثيرا سلبيتهم إزاء الاستثمارات الأكبر من كندا والبلدان الأوروبية . وبالمثل كما يشير دونالد هوروتس « فقد يكون أحد أبناء جنوب النيجر أورى أو أونيتشاى فيما كان يعد الإقليم الشرقى للنيجر . وفى لاجوس يكون ببساطة أحد أبناء جنوب النيجر ، وفى لندن يكون نيجيريا أما فى نيويورك فهو أفريقى » . إن التفاعلات بين شعوب الحضارات المختلفة تقوى الشعور بالتفاوت الحضارى للبشر وهذا بدوره يحيى الخلافات والبغضاء التى تمتد أو يعتقد أنها تمتد فى أغوار التاريخ .

ثالثا: إن عمليات التحديث الاقتصادى والتغيير الاجتماعى فى كل أرجاء العالم تفصل البشر عن الهويات المحلية الراسخة ، كما أنها تضعف الدولة القومية كمصدر للهوية ، وفى كثير من مناطق العالم تحرك الدين لملء هذه الفجوة ، ولكن غالبا فى صورة تيارات توصف بالتشدد ومثل تلك التيارات موجودة فى المسيحية الغربية واليهودية والبوذية والهندوسية وكذلك الإسلام . فى معظم البلدان ومعظم الديانات يكون الأفراد النشطون المنتسبون إلى هذه التيارات شبابا ومتعلمين فى الكليات وفنيين من الطبقة

الوسطى ومهنيين وأشخاصاً يعملون فى إدارة الأعمال ، وقد لاحظ جورج فيجل « أن اقتلاع العلمانية من العالم هى إحدى حقائق الحياة الاجتماعية المهيمنة فى أواخر القرن العشرين » . إن الإحياء الدينى يوفر مرتكزا للهوية والتزاما يتجاوز الحدود القومية ويقرب بين الحضارات .

رابعا: إن نمو الشعور بالتفاوت الحضارى يقويه الدور المزدوج الذى يلعبه الغرب . فمن ناحية يعد الغرب فى ذروة القوة ، إلا أنه فى الوقت نفسه وربما كنتيجة لهذه الحقيقة ، تحدث ظاهرة العودة إلى الجذور بين الحضارات غير الغربية . فالمرء يسمع على نحو متزايد إشارات عن اتجاهات للانكفاء على الذات والتحول إلى الطابع الآسيوى فى اليابان ونهاية تراث نهرو والتحول إلى الطابع الهندوسى فى الهند ، وإخفاق الأفكار الغربية عن الاشتراكية والقومية ومن ثم « إعادة أسلمة » الشرق الأوسط ، والآن ثمة سجال يدور حول التغريب فى مقابل التحول إلى الطابع الروسى فى بلد « بوريس يلتسين » .

إنه غرب فى ذروة قوته يجابه غير غربيين تتزايد لديهم الرغبة والإرادة والمواد لتشكيل العالم بطرق غير غربية .

فى الماضى كانت فئات النخبة فى المجتمعات غير الغربية هى عادة أكثر الناس ارتباطا بالغرب ، حيث تعلموا فى جامعات أكسفورد والسوربون وكلية ساند هيرست وتشربوا الاتجاهات والقيم الغربية فى الوقت الذى ظل فيه العامة فى البلدان غير الغربية مشبعين بالثقافة المحلية ، ولكن الآن يتم قلب هذه العلاقات إذ يحدث نزع للطابع الغربى لدى فئات النخبة وتأصيل الثقافة المحلية لديهم فى عديد من البلدان غير الغربية فى الوقت الذى تصبح فيه

الثقافات وأساليب المعيشة والعادات الغربية ، أمريكية فى أغلب الأحيان ، أكثر شيوعا بين جماهير الشعب .

خامسا: إن الخصوصيات والاختلافات الثقافية أقل تبدلا ومن ثم فإنها أقل قابلية للتراضى بشأنها والتوصل لحلول لها عن الخصوصيات والاختلافات الاقتصادية والسياسية . ففى الاتحاد السوفيتى السابق يمكن أن يصبح الشيوعيون ديموقراطيين والأغنياء يمكن أن يصبحوا فقراء ، والفقراء أغنياء ، ولكن الروس لا يمكن أن يصبحوا أستونيين كما لا يمكن أن يصبح الأذربيجانيون أرمنيين ، فى الصراعات الطبقية والأيديولوجية كان السؤال الرئيسى هو « مع أى طرف تقف ؟ » وكان بإمكان الناس أن يختاروا الأطراف التى يقفون معها وأن يغيروا تلك الأطراف وكانوا يفعلون ذلك . أما فى الصراع بين الحضارات فالسؤال هو « ما هويتك » ؟ وهو معطى لا يمكن أن يتغير ، وكما نعرف من البوسنة إلى القوقاز إلى مناطق أخرى يمكن أن تعنى الإجابة الخاطئة على هذا السؤال رصاصة فى الرأس . **والدين يميز بين الناس أكثر من الانتماء العرقى بصورة حادة وعلى نحو خاطئ ! إذ يمكن للشخص أن يكون نصف فرنسى ونصف عربى وفى الوقت نفسه حتى مواطنا فى بلدين ولكن من الصعوبة بمكان أن يكون نصف كاثوليكى ونصف مسلم** .

أخيرا فإن الإقليمية الاقتصادية تتزايد إذ ارتفعت نسب التجارة الكلية الإقليمية بين ١٩٨٠ إلى ١٩٨٩ من ٥١ فى المائة إلى ٥٩ فى المائة فى أوروبا ، ومن ٣٣ فى المائة إلى ٣٧ فى المائة فى شرق آسيا ، ومن ٣٢ فى المائة إلى ٣٦ فى المائة فى شمال أمريكا ، ومن المرجح أن تستمر أهمية التكتلات الاقتصادية فى المستقبل .

ومن ناحية ، سوف تعزز الإقليمية الاقتصادية الناجحة من الشعور بالتفاوت الحضارى ومن ناحية أخرى فإن الإقليمية الاقتصادية قد تنجح فقط عندما يتم ترسيخها فى حضارة مشتركة . فالجماعة الاقتصادية الأوروبية ترتكز على الأسس المشتركة للثقافة الأوروبية والمسيحية الغربية . أما نجاح اتفاقية التجارة الحرة فى أمريكا الشمالية (نافتا) فيعتمد على التقارب الجارى حاليا بين الثقافة المكسيكية والثقافة الكندية والثقافة الأمريكية . أما اليابان فهى على العكس من ذلك تواجه مصاعب فى خلق كيان اقتصادى مقارن فى شرق آسيا ؛ لأن اليابان تعد مجتمعا وحضارة فريدة بذاتها ، ومهما كانت قوة الروابط التجارية والاستثمارية التى تنميها اليابان مع بلدان شرق آسيا الأخرى ، فإن اختلافاتها الثقافية مع هذه البلدان تعوق وربما تحول دون الارتقاء بالتكامل الاقتصادى مثل ذلك القائم فى أوروبا وأمريكا الشمالية .

وعلى النقيض من ذلك تسهل الثقافة المشتركة بوضوح من التوسع السريع للعلاقات الاقتصادية بين جمهورية الصين الشعبية وتايوان وسنغافورة والجاليات الصينية فيما وراء البحار فى بلدان آسيا الأخرى . مع انتهاء الحرب الباردة تتغلب العموميات الثقافية بصورة متزايدة على الخلافات الأيديولوجية وتتحرك الصين وتايوان للاقتراب بعضهما من بعض أكثر ، وإذا كانت العمومية الثقافية شرطا مسبقا للتكامل الاقتصادى ، فمن المرجح أن تكون الكتلة الاقتصادية الرئيسية لشرق آسيا فى المستقبل متمركزة فى الصين ، وهذه الكتلة فى الحقيقة ، بدأت تشق طريقها بالفعل إلى الوجود كما لاحظ « موراى ويدينبوم » .

رغم الهيمنة اليابانية الحالية على المنطقة ، فإن اقتصاد آسيا الذى يتخذ من الصين قاعدة ، يأخذ فى البروز بسرعة بوصفه مركزا للصناعة والتجارة والتمويل ، وتحوى هذه المنطقة الاستراتيجية قدرا وافرا من التكنولوجيا والقدرة التصنيعية (تايوان) ودراية فائقة فى المشاريع والتسويق والخدمات (هونج كونج) وشبكة اتصالات رائعة (سنغافورة) ومعيناً هائلاً من رأس المال التمويلى (الثلاثة مجتمعين) وإقطاعات ضخمة للغاية من الأرض والموارد والعمال (الصين الشعبية) . . ومن جوانجزو إلى سنغافورة ومن كوالالمبور إلى مانيلا ، توصف هذه الشبكة المؤثرة ـ التى ترتكز فى الغالب على امتدادات للعشائر التقليدية ـ بأنها العمود الفقرى لاقتصاد شرق آسيا .

كذلك تشكل الثقافة والدين الأساس الذى ترتكز عليه منظمة التعاون الاقتصادى الذى تضم عشر دول إسلامية غير عربية : إيران وباكستان وتركيا وأذربيجان وكازاخستان وكيرجستان وتركمانستان وطاجاكستان وأوزبكستان وأفغانستان . وإحدى القوى الدافعة لإحياء وتوسيع هذه المنظمة ، التى أسسها أصلا كل من تركيا وإيران وباكستان عام ١٩٦٠ م ، هى إدراك زعماء العديد من هذه البلدان أنهم لا فرصة لديهم لدخول السوق الأوروبية المشتركة . وبالمثل فإن مجموعة الكاريبى الاقتصادية والسوق المشتركة لأمريكا الوسطى والميركوسير كلها ترتكز على أسس ثقافية مشتركة ، إلا أن المجهودات التى بذلت لإقامة كيان اقتصادى لأمريكا الوسطى والكاريبى يتجاوز خط التقسيم الأنجلو ـ لاتينى باءت حتى تاريخه بالفشل .

وبينما يحدد الناس هويتهم على أساس من انتمائهم العرقى أو الدينى ، فمن المتوقع أن يروا علاقة « نحن » فى مقابل « هم » قائمة بينهم وبين أهل الأعراق أو الأديان الأخرى ، وتسمح نهاية الدول المحددة أيديولوجيا للهويات والبغضاء العرقية التقليدية باحتلال موضع الصدارة . والاختلافات فى الثقافة والدين تولد اختلافات بصدد القضايا السياسية ابتداء من حقوق الإنسان ومرورا بالهجرة والتجارة إلى البيئة . ويؤدى التجاور الجغرافى إلى نشوء دعاوى الصراع على الأراضى من البوسنة حتى « ميندناو » . أهم من ذلك أن مجهودات الغرب فى الترويج لقيمه الخاصة بالديموقراطية والليبرالية كقيم عالمية والحفاظ على تفوقه العسكرى والارتقاء بمصالحه الاقتصادية تولد ردود فعل مضادة من الحضارات الأخرى ، ومع تقلص قدرتها على حشد الدعم وتشكيل التحالفات على أساس أيديولوجى ، سوف تحاول الحكومات والجماعات على نحو متزايد أن تحشد الدعم بالالتجاء إلى الهوية الدينية والحضارية . وهكذا يقع صراع الحضارات على مستويين اثنين على المستوى الأصغر تتصارع الجماعات المتجاورة على طول خطوط الخلل بين الحضارات غالبا بصورة عنيفة من أجل السيطرة على الأرض وعلى بعضها البعض . وعلى المستوى الأكبر تتنافس الدول ذات الحضارات المختلفة من أجل القوة العسكرية والاقتصادية النسبية ، والتنازع للسيطرة على المؤسسات الدولية وترويج قيمها الخاصة السياسية منها والاقتصادية على نحو تنافسى .

خطوط الخلل بين الحضارات

تحل خطوط الخلل بين الحضارات محل الحدود السياسية والأيديولوجية للحرب الباردة كنقاط توهج للأزمات وسفك الدماء ، فقد بدأت الحرب الباردة عندما قسم الستار الحديدى أوروبا سياسيا وأيديولوجيا ، وانتهت الحرب الباردة مع نهاية الستار الحديدى ، وبينما يختفى التقسيم الأيديولوجى لأوروبا ، يعود التقسيم الثقافى لأوروبا بين المسيحية الغربية من ناحية والمسيحية الأرثوذكسية والإسلام من ناحية أخرى إلى الظهور .

إن الصراع على طول خط الخلل بين الحضارتين الغربية والإسلامية يدور منذ ١٣٠٠ عام . فبعد ظهور الإسلام لم ينته اندفاع العرب والمغاربة غربا وشرقا إلا فى طولون عام ٧٣٢ م . وابتداء من القرن الحادى عشر حتى الثالث عشر حاول الصليبيون بنجاح موقوت أن يدخلوا المسيحية والحكم المسيحى إلى الأراضى المقدسة . ومن القرن الرابع عشر حتى السابع عشر قلب الأتراك العثمانيون الموازين فبسطوا سلطانهم على الشرق الأوسط وبلاد البلقان واستولوا على القسطنطينية وفرضوا الحصار على فيينا مرتين ، وعندما تضعضعت القوة العثمانية فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، رسخت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا السيطرة الغربية على شمال إفريقيا والشرق الأوسط .

بعد الحرب العالمية الثانية بدأ الغرب بدوره يتقهقر حيث اختفت الإمبراطوريات الاستعمارية ، وراحت القومية العربية أولا ثم الأيديولوجية الإسلامية تفصح عن نفسها . أصبح الغرب يعتمد اعتمادا شبه كلى على بلدان الخليج العربى فى الحصول على الطاقة ، وأصبحت البلدان الإسلامية الغنية بالبترول غنية بالأموال ، وعندما ترغب ، غنية بالسلاح أيضا . وقعت عدة حروب بين العرب وإسرائيل (التى أوجدها الغرب) ، كما خاضت فرنسا حربا دموية لا هوادة فيها فى الجزائر استمرت أغلب سنوات الخمسينيات ، وغزت القوات البريطانية والفرنسية مصر عام ١٩٥٦ كما ذهبت القوات الأمريكية إلى لبنان عام ١٩٥٨ م . فيما بعد عادت القوات الأمريكية إلى لبنان وهاجمت ليبيا واشتبكت فى عدة مواجهات عسكرية مع إيران . وفى أعقاب حرب الخليج عام ١٩٩٠ م التى شارك فيها الغرب راح تخطيط حلف شمال الأطلسى يوجه بصورة متزايدة نحو التهديدات والقلاقل المحتملة على طول « صفه الجنوبى » .

ومن غير المتوقع أن يؤول ذلك التفاعل العسكرى الذى يرجع إلى قرون بين الغرب والإسلام إلى الزوال ، بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة .

كذلك فإن العلاقات بين البلدان الإسلامية والغرب تعقد منها أيضا العوامل الديموجرافية ، حيث أدت الزيادة السكانية المذهلة فى البلدان العربية ، وخاصة فى شمال إفريقيا ، إلى الهجرة المتزايدة إلى أوروبا الغربية ، وقد أدى تحرك أوروبا الغربية نحو

تقليص الحدود الداخلية إلى احتداد الحساسيات السياسية فيما يتعلق بهذا التطور . ففى إيطاليا وفرنسا وألمانيا يتم التعبير عن العنصرية علنا على نحو متزايد كما أصبحت ردود الفعل السياسية والعنف ضد المهاجرين العرب والأتراك أكثر حدة وأوسع انتشارا منذ عام ١٩٩٠ م .

وعلى كلا الجانبين يُنظر إلى التفاعل بين الإسلام والغرب على أنه صدام حضارات . ويرى م ج أكبر وهو مؤلف هندى مسلم « أن المواجهة التالية للغرب سوف تأتى من العالم الإسلامى وسوف يبدأ الكفاح من أجل نظام عالمى جديد بزحف الشعوب الإسلامية من المغرب إلى باكستان » . وكذلك يصل برنارد لويس إلى نتيجة مماثلة :

« إننا نواجه حالة نفسية وحركة تتجاوز إلى حد بعيد مستوى القضايا والسياسات والحكومات التى تتبعها . وهذا ليس بأقل من صدام الحضارات - أو ربما كان ذلك هو رد الفعل غير العقلانى (وإن يكن تاريخيا على وجه التحقيق) ، لمنافس قديم تجاه تراثنا اليهودى المسيحى وحاضرنا العلمانى وامتداد كليهما إلى كافة أرجاء العالم .

وعلى الحدود الشمالية للإسلام يتفجر الصراع بصورة متزايدة بين الشعوب الأرثوذكسية والإسلامية بما فيها مذبحة البوسنة وسراييفو ، والصراع المتأجج بين الصرب وألبانيا والعلاقات الواهية بين البلغاريين والأقلية التركية التى تعيش بينهم والعنف بين الأوسيتيانيين والأنجوش ، والمذابح التى لا تتوقف بين

الأذربيجانيين والأرمن والعلاقات المتوترة بين الروس والمسلمين فى وسط آسيا ونشر القوات الروسية لحماية المصالح الروسية فى القوقاز ووسط آسيا . **إن الدين يقوى إحياء الهويات العرقية ويعيد تحريك مخاوف الروس فيما يتعلق بأمن حدودهم الجنوبية** ، وهذه المخاوف يعبر عنها آرشى روزفلت تعبيرا جيدا فى قوله : « إن الكثير من التاريخ الروسى يتعلق بالنزاع بين الشعوب السلافية والتركية على حدودهم ، الذى يرجع إلى تأسيس الدولة الروسية لأكثر من ألف عام خلت ، ولا يكمن المدخل لفهم التاريخ الروسى فحسب فى مواجهة السلاف ذات الألف عام مع جيرانهم الشرقيين ، بل أيضا فهم الشخصية الروسية ، ولكى نفهم الحقائق الروسية اليوم ، على المرء أن يكون لديه مفهوم عن الجماعة التركية العرقية الضخمة التى شغلت الروس على مدى القرون .

إن صراع الحضارات متجذر إلى حد بعيد فى أماكن أخرى من آسيا . ويعبر الصدام التاريخى فى شبه القارة الهندية بين المسلمين والهندوس عن نفسه ليس فى التنافس بين باكستان والهند فحسب ، بل أيضا فى النزاع الدينى المتفاقم داخل الهند بين الجماعات الهندوسية التى تزداد نزعتها إلى الاقتتال والأقلية المسلمة الكبيرة ، وقد فجر تدمير مسجد أيودها فى ديسمبر ١٩٩٢م قضية إذا ما كانت الهند ستظل دولة ديمقراطية علمانية أم ستصبح دولة هندوسية وأتى بها إلى موضع الصدارة . وفى شرق آسيا للصين نزاعات معلقة على الأراضى مع أغلب جيرانها وقد

اتبعت الصين سياسة لا هوادة فيها تجاه الشعب البوذى فى التبت وهى تتبع سياسة متزايدة البطش تجاه الأقلية التركية المسلمة . مع انتهاء الحرب الباردة أعادت الخلافات الأصلية بين الصين والولايات المتحدة تأكيد نفسها فى مناطق مثل حقوق الإنسان والتجارة وانتشار الأسلحة ومن غير المتوقع أن تخف حدة هذه الخلافات . وقد نقل عن دينج زياو بنج أنه أكد فى عام ١٩٩١ م أن « حربا باردة جديدة » بسبيلها إلى النشوب بين الصين والولايات المتحدة .

وقد استخدمت العبارة نفسها بالنظر إلى العلاقات المتزايدة الصعوبة بين اليابان والولايات المتحدة . هنا تثير الخلافات الثقافية صراعا اقتصاديا . والناس فى كل جانب تتهم الجانب الآخر بالعنصرية ولكن على الأقل فى الجانب الأمريكى فإن النفور ليس عنصريا ولكنه ثقافى إذ لا يمكن أن تكون القيم الأساسية والاتجاهات والأنماط السلوكية للمجتمعين أكثر تباينا . فالقضايا الاقتصادية بين الولايات المتحدة وأوروبا لا تقل أهمية عن تلك القائمة بين الولايات المتحدة واليابان ، ومع ذلك فليس لها البروز السياسى نفسه والحدة العاطفية ؛ لأن الاختلافات بين الثقافة الأمريكية والثقافة الأوروبية أقل بكثير من تلك التى بين الحضارة الأمريكية والحضارة اليابانية .

الاحتشاد الحضارى: أعراض بلد القرابة

إن الجماعات أو الدولة المنتمية إلى حضارة واحدة والتى تصبح مشتبكة فى حرب مع أناس من حضارة مختلفة ، تحاول بطبيعة الحال أن تحشد الدعم من الأعضاء الآخرين فى حضارتها ، وبينما يتشكل عالم ما بعد الحرب الباردة فإن العمومية الحضارية أو ما يسميه هـ . د . س . جرينواى « أعراض بلد القرابة » يحل محل اعتبارات الأيديولوجيا السياسية والتوازن التقليدى للقوى بصفته الأساس الرئيسى للتعاون والتحالفات . ويمكن رؤية هذه الأعراض تظهر تدريجيا فى صراعات ما بعد الحرب الباردة فى القوقاز والبوسنة وغيرها من المناطق ، فلم يكن أى من تلك الصراعات حربا شاملة بين الحضارات ، إلا أن كلاً منها انطوى على بعض عناصر الاحتشاد الحضارى الذى بدا أنه يصير أكثر أهمية مع استمرار الصراع وهو ما قد يوفر فكرة مسبقة لما سيقع فى المستقبل .

إن أعراض بلد القرابة ظهرت فى صراعات ما كان فى السابق الاتحاد السوفيتى وفى يوغوسلافيا السابقة وقد أظهرت الجماهير الغربية تعاطفا ودعما لمسلمى البوسنة والأهوال التى عانوها على أيدى الصرب ، إلا أن الهجمات الكرواتية على المسلمين ومشاركة الكروات فى تمزيق البوسنة والهرسك لم يحظ إلا بالتعبير عن قليل

من القلق النسبى . وفى المراحل الأولى لتفكيك يوغوسلافيا ، قامت ألمانيا فى استعراض غير عادى للمبادرة الدبلوماسية والعضلات بإقناع الأحد عشر عضوا الآخرين فى الجماعة الأوروبية بحذو حذوها فى الاعتراف بسلوفينيا وكرواتيا . ونتيجة لتصميم البابا على توفير الدعم القوى للبلدين الكاثوليكيين ، قدم الفاتيكان اعترافه بالبلدين حتى قبل أن تفعل ذلك الجماعة الأوروبية وسارت الولايات المتحدة فى أثر أوروبا . وهكذا فإن الممثلين البارزين فى الحضارة الغربية احتشدوا خلف بنى دينهم . فيما بعد رؤى أن كرواتيا كانت تتلقى كميات كبيرة من الأسلحة من أوروبا الوسطى والبلدان الغربية الأخرى . ومن ناحية أخرى حاولت حكومة بوريس يلتسين أن تتبع نهجا معتدلا يميل إلى الصرب الأرثوذكسيين ولكنه لا يقصى روسيا عن الغرب ، إلا أن الجماعات الروسية القومية والمحافظة بما فيهم بعض أعضاء البرلمان هاجموا الحكومة ؛ لأنها لم تكن أكثر استعدادا لدعم الصرب . وفى مطلع ١٩٩٣ م كان من الواضح أن عدة مئات من الروس يقاتلون إلى جانب القوات الصربية وانتشرت الروايات عن الأسلحة الروسية التى تزود بها صربيا .

من ناحية أخرى فإن الشعوب والحكومات الإسلامية انتقدت الغرب بشدة لتقاعسه فى الدفاع عن البوسنيين ، وحث الزعماء المسلمين على تقديم المساعدة للبوسنة فى مخالفة لحظر تصدير

الأسلحة الذى فرضته الأمم المتحدة كما زودت بعض الدول البوسنيين بالأسلحة والرجال . وفى عام ١٩٩٣ م يروى أن ما يصل عددهم إلى أربعة آلاف مسلم من عدة بلدان إسلامية كانوا يقاتلون فى البوسنة . وبحلول نهاية عام ١٩٩٢ م يروى أن السعودية كانت قد قدمت تمويلا ودعما كبيرا للبوسنة مما زاد من قدرتها العسكرية فى مواجهة الصرب .

وبينما أثارت الحرب الأهلية الأسبانية فى الثلاثينيات تدخلا من بلدان كانت من الناحية السياسية فاشية وشيوعية وديموقراطية فإن الصراع اليوغوسلافى فى التسعينيات أثار تدخلا من بلدان أرثوذكسية وإسلامية ومسيحية غربية ولم يمر ذلك التطابق دون ملاحظة إذ علق محرر سعودى قائلا : « لقد أصبحت الحرب فى البوسنة والهرسك هى المعادل العاطفى للقتال ضد الفاشية فى الحرب الأهلية الأسبانية ، فأولئك الذين ماتوا هناك يعتبرون شهداء حاولوا أن ينقذوا إخوانهم المسلمين » .

وسوف يقع الصراع والعنف أيضا بين الدول والمجموعات داخل الحضارة الواحدة . إلا أن تلك الصراعات على الأرجح ستكون أقل شدة كما أن احتمال اتساعها سيكون أقل من تلك الصراعات التى تنشب بين الحضارات حيث أن العضوية المشتركة فى الحضارة نفسها من شأنها أن تقلل احتمال حدوث العنف فى مواقف قد ينشب فيها فى أحوال أخرى .

لقد ظل الاحتشاد الحضارى حتى تاريخه محدودا ، ولكنه فى تزايد ومن الواضح أن لديه القوة لكى ينتشر إلى أبعد من ذلك . وإذ تتواصل حلقات الصراع فى القوقاز والبلقان والبوسنة ، كانت مواقف الشعوب والخلافات بينها تحدث على نحو متزايد على طول الخطوط الحضارية . وقد وجد الساسة والزعماء الدينيون ووسائل الإعلام فيها وسيلة قوية لإثارة المساندة الجماهيرية والضغط على الحكومات المترددة . وفى السنوات القادمة فإن الخلافات المحلية التى يرجح لها أن تتصعد إلى حروب كبرى ، هى تلك التى تقع على طول خطوط الخلل بين الحضارات كما هو الحال فى البوسنة والقوقاز .

الملابسات بالنسبة للغرب

إن هذه المقالة لا تزعم أن الهويات الحضارية سوف تحل محل كل الهويات الأخرى ، وأن الدول القومية سوف تختفى ، وأن كل حضارة سوف تصبح كيانا سياسيا واحدا متماسكا ، وأن الجماعات فى نطاق حضارة ما لن يتصارعوا ولا حتى يحارب بعضهم بعضا ، بيد إن هذه الورقة تطرح الفرضية القائلة بأن الخلافات بين الحضارات هى خلافات حقيقية ومهمة . إن الوعى بالتفاوت الحضارى فى تزايد ، وسوف يحل الصراع بين الحضارات محل الصراع الأيديولوجى والأشكال الأخرى للصراع باعتباره الشكل العالمى السائد للصراع . والعلاقات الدولية التى كانت لعبة تنتهى داخل حدود الحضارة الغربية ، سوف يتزايد نزع الصفة الغربية عنها وتصبح فيها الحضارات غير الغربية أعضاء فاعلين وليسوا مجرد أهداف . أما المؤسسات الدولية السياسية والأمنية والاقتصادية الناجحة فسوف يزداد نشوؤها على الأرجح داخل الحضارات وليس عبرها . وستكون الصراعات بين الجماعات ذات الحضارات المختلفة أكثر تكرارا وأكثر استمرارا وأكثر عنفا من الصراعات التى تنشب بين جماعات داخل نفس الحضارة ، والصراعات العنيفة بين الجماعات المنتمية إلى

الحضارات المختلفة هى أكثر المصادر احتمالاً وخطورة للتصعيد الذى يمكن أن يؤدى إلى حروب عالمية ، وسيكون المحور الرئيسى للسياسة الدولية هو العلاقات بين « الغرب وباقى العالم » ففئات النخبة فى بعض البلدان غير الغربية الممزقة سوف يحاولون أن يجعلوا بلدانهم جزءا من الغرب ، ولكنهم فى أغلب الحالات سيواجهون عقبات كبرى فى تحقيق ذلك . والبؤرة المركزية للصراع فى المستقبل القريب سوف تكون بين الغرب والدول الإسلامية والآسيوية العديدة .

إن ذلك ليس دفاعا عن استحباب الصراع بين الحضارات ،ولكنه يرمى إلى طرح فرضيات وصفية لما يحتمل أن يكون عليه المستقبل . وإذا كانت تلك الفرضيات معقولة فى ظاهرها ، فمن الضرورى أن ننظر بعين الاعتبار إلى ملابساتها بالنسبة للسياسة الغربية ويجب أن تقسم تلك الملابسات بين الفائدة على المدى القصير والاحتواء على المدى الطويل . وعلى المدى القصير من الواضح أنه من مصلحة الغرب أن يعزز تعاونا أكبر وتوحيدا فى نطاق حضارته ، وعلى وجه الخصوص بين مكونيها الأوروبى والأمريكى الشمالى ، وأن يدمج مجتمعات شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية فى الغرب ، وهى مجتمعات ذات ثقافة قريبة من ثقافة الغرب ، وأن يعزز علاقات التعاون مع روسيا واليابان ويحافظ عليها ، وأن يحول دون تصعيد الصراعات المحلية بين الحضارات إلى حروب كبرى

بين الحضارات ، وأن يحد من توسع القوة العسكرية للدول الآسيوية والإسلامية ، وأن يخفف من تقليص القدرات العسكرية الغربية ويحافظ على التفوق العسكرى فى شرق وجنوب غرب آسيا ، وأن يستغل الخلافات والصراعات الغربية فى الحضارات الأخرى ، وأن يقوى المؤسسات الدولية التى تعكس وتسوغ المصالح والقيم الغربية وتضفى عليها الشرعية ، وأن يروج لاشترك الدول غير الغربية فى هذه المؤسسات .

أما على المدى الأطول فسيكون اتخاذ إجراءات أخرى أمرا مطلوبا . فالحضارة الغربية هى حضارة غربية وحديثة معا ، وقد حاولت الحضارات غير الغربية أن تكون حديثة دون أن تصبح غربية ، وحتى يومنا هذا لم ينجح فى هذا المسعى إلا اليابان . وسوف تواصل الحضارات غير الغربية محاولاتها للحصول على الثروة والتكنولوجيا والمهارات والمكنات والأسلحة التى تمثل جزءا من كون الحضارة حديثة ، كذلك ستحاول تلك الحضارات أن توائم هذه الحداثة مع ثقافتها وقيمها التقليدية ، أما قوتها الاقتصادية والعسكرية فسوف تزيد بالقياس للغرب . ومن ثم يتوجب على الغرب على نحو متزايد أن يحتوى تلك الحضارات الحديثة غير الغربية التى تقترب قوتها من قوة الغرب ، ولكن قيمها ومصالحها تختلف إلى حد كبير عن قيم ومصالح الغرب ، وسوف يستلزم ذلك من الغرب أن يحتفظ بالقوة الاقتصادية والعسكرية اللازمة لحماية مصالحه فيما يتعلق بهذه

الحضارات ، كما أنها سوف تستلزم أيضا من الغرب أن ينمى تفهما أكثر عمقا للمقولات الأساسية الدينية والفلسفية التى تقوم عليها الحضارات الأخرى والطرق التى ينظر بها الناس فى تلك الحضارات إلى مصالحهم ، وكذلك سوف يستلزم بذل الجهود لتحديد عناصر السمات المشتركة بين الحضارة الغربية والحضارات الأخرى .

فى المستقبل الوثيق الصلة بالقضية لن يكون ثمة حضارة عالمية ، ولكن بدلا من ذلك عالم من الحضارات المختلفة ، وسيكون عليها أن تتعايش مع الحضارات معا .

صدر من سلسلة (فى التنوير الأسلامى)

١ - الصحوة الإسلامية فى عيون غربية .	د . محمد عمارة
٢ - الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٣ - ابو حيان التوحيدى .	د . محمد عمارة
٤ - دراسة قرآنية فى فقة التجدد الحضارى .	د . سيد دسوقى
٥ - ابن رشد بين الغرب والاسلام .	د . محمد عمارة
٦ - الانتماء الثقافى	د . محمد عمارة
٧ - تنصير العالم .	د . زينب عبد العزيز
٨ - التعددية الرؤية الإسلامية والتحديات .	د . محمد عمارة
٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام .	د . محمد عمارة
١٠ - د . يوسف القرضاوى : المدرسة الفكرية . والمشروع الفكرى	د . محمد عمارة
١١ - تأملات فى التفسير الحضارى للقرآن الكريم .	د . سيد دسوقى
١٢ - عندما دخلت مصر فى دين الله .	د . محمد عمارة
١٣ - الحركات الإسلامية رؤية نقدية .	د . محمد عمارة
١٤ - المنهاج العقلى .	د . محمد عمارة
١٥ - النموذج الثقافى .	د . محمد عمارة
١٦ - منهجية التغيير بين النظرية والتطبيق .	د . صلاح الصاوى
١٧ - تجديد الدنيا بتجديد الدين	د . محمد عمارة
١٨ - الثوابت والمتغيرات فى اليقظة الإسلامية الحديثة .	د . محمد عمارة
١٩ - نقض كتاب الاسلام وأصول الحكم .	د . محمد عمارة
٢٠ - التقدم والاصلاح بالتنوير الغربى .	د . محمد عمارة
٢١ - فكر حركة الأستنارة . . وتناقضاته .	د . عبد الوهاب المسيرى
٢٢ - حرية التعبير فى الغرب من سلمان رشدى إلى روجية جارودى .	د . شريف عبد العظيم
٢٣ - أسلامية الصراع حول القدس وفلسطين .	د . محمد عمارة
٢٤ - الحضارات العالمية تدافع؟ . . أم صراع .	د . محمد عمارة

سيصدر قريبا إن شاء الله

٢٥ - التنمية الأجتماعية بالغرب ؟ . . أم بالأسلام؟؟	د . عادل حسين
٢٦ - الحملة الفرنسية فى الميزان .	د . محمد عمارة
٢٧ - الإسلام فى عيون غربية . . دراسات سويسرية	ترجمة ا . ثابت عيد

الفهرس

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٣٨

إلى القارئ العزيز ..

فى هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربى» هو تنوير علمانى ، يستبدل العقل بالدين ، ويقيم قطيعة مع التراث ..

فإن «التنوير الإسلامى» هو تنوير إلهى ، لأن الله والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم : أنوار ، تصنع للمسلم تنويرا إسلاميا متميزا .

ولتقديم هذا التنوير الإسلامى للقراء ، تصدر هذه السلسلة ، التى يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامى المعاصر :

- د . محمد عمارة
- المستشار طارق البشرى
- د . حسن الشافعى
- د . محمد سليم العوا
- ا . فهمى هويدى
- د . جمال الدين عطية
- د . سيد دسوقى
- د . كمال الدين إمام
- د . عبدالوهاب المسيرى
- د . شريف عبدالعظيم
- د . عادل حسين
- د . صلاح الدين سلطان

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح ، لإنارة العقل بأنوار الإسلام .

الناشر